مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 24 العدد 02 السنة2024 ص ص224/203
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أ.د قاسم عبده قاسم (1942 -2021)

مؤرخاً للحروب الصليبية

Prof. Kasim abdu Kasim (1942-2021)
A Historien os the Crusades

طارق يوسف سعيد الظهوري[1] أ.د. محمد مؤنس عوض[2]

[1] باحث دكتوراه-جامعة الشارقة، Tysaeed888@gmail.com

[2] أستاذ تاريخ العصور الوسطى، جامعة الشارقة، mawad@sharjah.ac.ae

تاريخ الاستلام: 03 / 02/ 23 تاريخ القبول: 17 / 03/ 23

Abstract:

This Paper does spotlights on kasim abdu kasim, professor of Medieval History, Al-zahazeg University, as Historian of the Crusades.

We can consider Kasim one of the most important Arab historians in the field of relations between east and west in the middle ages. So, this paper gives spotlights on his works and method dealing with that eventful era.

Keywords: *Kasim Abdu Kasim, Crusades, East, West, Middle Ages.*

المؤلف المرسل: أ.د. محمد مؤنس عوض

البريد الالكتروني: mawad@sharjah.ac.ae

الملخص:

يلقي هذا البحث الأضواء الكاشفة على قاسم على قاسم عبده قاسم، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الزقازيق بوصفه مؤرخاً للحروب الصليبية.

في مقدورنا اعتبار قاسم واحداً من أهم المؤرخين العرب في مجال العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى. لذا فإن هذا البحث يلقي الأضواء على أعماله، ومنهجه، في دراسة تلك المرحلة العامرة بالأحداث.

الكلمات المفتاحية: قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية، الشرق، الغرب، العصور الوسطى

العرض :

يتناول هذا البحث بالدراسة، المؤرخ الراحل أ.د. قاسم عبده قاسم، أستاذ تاريخ العصور الوسطي بجامعة الزقازيق بإعتباره مؤرخا للحروب الصليبية، ويتجه إلي التعريف به وبمؤلفاته ثم تحليل منهجية في دراسة تلك الحروب.

ولد المؤرخ المذكور بالقاهرة في 29 مايو عام 1942م أي قبل 10 سنوات من ثورة 1952م، لذا نعده إبناً من أبنائها، وهو من أصول فلسطينية، وواصل رحلة تعليمه إلي أن إلتحق بقسم التاريخ في كلية الآداب – جامعة القاهرة عام 1960م. وحصل علي الليسانس عام 1964م.

إتجه صوب الدراسات العليا، فسجل رسالة للماجستير بعنوان نهر النيل والمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك، وناله عام 1972م، أما رسالته للدكتوراه، فعنوانها: أهل الذمة في مصر في عصر سلاطين المماليك – دراسة وثائقية ونالها عام 1975م وقد أشرف عليه المؤرخ القدير أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ العصور الوسطي.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

إلتحق المؤرخ المذكور بالعمل في قسم التاريخ بكلية الآداب- جامعة الزقازيق عام 1975، وتدرج في السلك الجامعي مدرساً ما بين عامي 1975 -1980م، ثم أستاذاً مساعداً ما بين عامي 1980، 1986م، ورقي أستاذاً في العام الأخير.

أصدر أ.د. قاسم عبده قاسم العديد من المؤلفات في صورة كتب أو بحوث، ومن كتبه نذكر التالي:

- أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي، ط. القاهرة 1977م.
- الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، ط. القاهرة 1979م (بالإشتراك).
- دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، ط. القاهرة 1981م.
- الرؤية الحضارية للتاريخ، قراءة في التراث العربي، ط. القاهرة 1981م.
- رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية، ط القاهرة 1983م.
- الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، ط. القاهرة 1983م.
- الحملة الصليبية الأولي- نصوص ووثائق، ط. القاهرة 1985م.
- بين الأدب والتاريخ، ط. القاهرة 1986م.
- النيل والمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك، ط. القاهرة 1987م.
- ماهية الحروب الصليبية. سلسلة عالم المعرفة، ط. الكويت 1990م.
- الأيوبيون والمماليك. ط القاهرة 1992م (بالإشتراك).
- بين التاريخ والفلكلور، ط. القاهرة 1993م.
- عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، ط. القاهرة 1998م.
- الملك المظفر سيف الدين قطز ، ط. دمشق 1999م.
- في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ط. القاهرة 2001م.

- فكرة التاريخ عند المسلمين، ط. القاهرة 2001م.
- نظرات في تاريخ المسلمين ، ط. القاهرة 2004م.
- المسلمون وأوروبا – التطور التاريخي لصورة الآخر، ط. القاهرة 2008م.
- إعادة قراءة التاريخ، كتاب مجلة العربي ، ط. الكويت 2010م.
- أوراق تاريخية، ط. القاهرة 2011م.
- الحضارة العربية الإسلامية، ط. القاهرة 2013م.
- حضارة الهلال الخصيب، ط. القاهرة 2013م.
- الحضارة المصرية القديمة، ط. القاهرة 2014م.
- الحضارة الهندية القديمة، ط. القاهرة 2014م.

كما أصدر عدة بحوث نذكر منها:

- صورة المقاتل الصليبي في المصادر التاريخية العربية، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م (27)، عام 1980م.
- الاضطهادات الصليبية ليهود أوروبا من خلال حولية عبرية، الظاهرة ومغزاها حـ 1، ط. القاهرة 1981م.
- الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة، مجلة المأثورات الشعبية لمجلس التعاون لدول الخليج العربي، السنة (2)، عدد أبريل 1987م.
- الحروب الصليبية في الأدبيات العربية واللاتينية واليهودية، مجلة المستقبل العربي، عدد عام 1987م.
- بعض ملامح الحياة الاجتماعية لبلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، عالم الفكر، عدد عام 1994م.

أما في مجال الترجمة، فنجد له العديد من الإسهامات ، نذكر منها التالي:

- يوشع براور، عالم الصليبيين، بالإشتراك مع محمد خليفة حسن ، ط. القاهرة 1980م

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، جزآن، ط. القاهرة 1984م.
- فوشيه الشار، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ط. الكويت 1988م.
- تاريخ اكسفورد للحروب الصليبية، ط. القاهرة 2006م
- -هيو كنيدي، الفتوح الإسلامية الكبري، المركز القومي للترجمة، ط. القاهرة، 2009م.

جدير بالذكر حصل المؤرخ المذكور علي جائزة الدولة التشجيعية عام 1983م، وجائزة التفوق عام 2000م، وجائزة الدولة التقديرية عام 2008م.

إن نظرة متأنية لمؤلفاته وترجماته، تكشف لنا عن اهتمامه الخاص بعصر الحروب الصليبية، ونورد هنا بعضاً من تلك المؤلفات كي ندرك منهجية في دراستها.

بداية ، إتجه قاسم عبده قاسم إلي البحث في دوافع الحروب الصليبية، وقد خصص دراسته عن الدوافع الاجتماعي [2]، وفي ذلك قال: " كانت الحركة الصليبية انعطافاً تاريخياً خطيراً في الغرب الأوروبي، إذ كانت تلك هي أول حرب يخوضها العرب تحت راية أيديولوجيا بعينها، وكان طبيعياً أن تفسر هذه الأيديولوجية وتزييف بمرور الوقت، بيد أن الحقيقة التي تظل تفرض نفسها معلنة أن اعتناق القوي الاجتماعية المختلفة لهذه الأيديولوجية جاء تعبيراً عن صراع تلك القوي ضد بعضها البعض من ناحية، كما كان تعبيراً صريحاً عن التفاعلات الاجتماعية الناجمة عن هذا الصراع نفسه من ناحية أخري[3].

يلاحظ هنا، أنه لا يتجه إلي القول بوجود دافع اجتماعي واحد، بل عدة دوافع مع تعدد القوي الموجودة في الغرب الأوروبي عشية اندلاع الحروب الصليبية.

لقد اتجه إلي دراسة الدوافع الاجتماعية، من خلال سعيه إلي البحث في جور تلك الحركة التاريخية الكبري في مسيرة العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، وفي ذلك أورد ما نصه: " الظاهرة التاريخية لا تنبت من فراغ، ولا تظهر فجأة من طيات المحصول، وإنما هي نتاج تفاعل طويل ومستمر، عبر الزمان، لمجموعة من العوامل والعلل والأسباب والكيفيات. فإذا ما تم التفاعل، وباتت الظروف التاريخية مواتية، طلت الظاهرة علي مسرح التاريخ [4].

كما أوضح أيضاً: " أن اختلاف دوافع الطبقة المقصورة في المجتمع الإقطاعي في غرب أوروبا عن دوافع كل من الفرسان ورجال الكنيسة، علي الرغم من أنهم جميعا تحركوا في إطار الأيديولوجية الصليبية ليؤكد أن الأيديولوجية تستخدم في مرحلة التجهيز للحرب لكي تحرك المجتمع كله صوب هدف وعلي أساس فكري وأخلاقي واحد. وعندما تبدأ عملية الحرب في الدوران تكشف كل طبقة عن أهدافها الخاصة التي تختلف بالضرورة مع أهداف الطبقات الأخري [5].

في تقديري أنه تمكن بالفعل من رصد الدوافع الاجتماعية المتعددة من خلال تعدد طبقات ذلك المجتمع الذي أفرز المشروع الصليبي.

هكذا، يتضح لنا أن تصوره للدوافع الاجتماعية من أجل تعميق البحث في تلك الظاهرة، وهو بالتالي طور فكر أستاذه أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور، عندما تحدث عن الدافع الاجتماعي للحروب الصليبية، وقد أورد ذلك عندما صدر كتابه عام 1963م [6].

كذلك قدم لنا إسهامه البارز من خلال كتابه ماهية الحروب الصليبية، ويعد أهم مؤلفاته في المجال المذكور وأكثرها تفصيلاً.

قسم الدراسة المشار إليها علي النحو التالي:

- المقدمة.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- الفصل الأول: فكرة الحروب الصليبية: منظور تاريخي [7].
- الفصل الثاني: الظروف التاريخية والدوافع [8].
- الفصل الثالث: الحملات الصليبية: عرض تاريخي [9].
- الفصل الرابع: الحصاد، أثر الحروب الصليبية في العالم العربي [10].

امتازت الدراسة المذكورة بعمق التناول، وتعدد المصادر والمراجع العربية والغربية التي أفاد منها المؤلف، وقد بحث في جذور الحركة الصليبية من خلال تناوله لأوضاع

الغرب الأوروبي في العصور الوسطي خاصة عشية اندلاع تلك الحركة التاريخية الكبري.

أقر المؤرخ المذكور: " كانت السنوات العشر التي سبقت الدعوة إلي الحملة الصليبية الأولي سنة 1095م سنوات صعبة بالفعل علي سكان أوروبا ولاسيما شمال فرنسا وغرب ألمانيا، إذ شهدت تلك السنوات سلسلة تأكد تكون متصلة من الفيضانات والمجاعة... ومن الطبيعي أن يكون رد فعل الناس في إطار رد الفعل الجماهيري المعتاد، أي التعلق بأهداب الدين أو محاولة التكفير عن الذنوب والتجمع حول الزاهدين...." [11]

بالتالي ندرك رغبته في البحث عن جذور المشروع الصليبي علي الأرض الأوروبية ذاتها، وقد حرص علي إبراز الواقع الاقتصادي والاجتماعي المتدهور لدي الغرب الأوروبي من أجل فهم ماهيتها الحقيقية.

واقع الأمر، امتاز الكتاب المذكور بالبحث في الجوانب الأيديولوجية للحروب الصليبية، كما امتاز – علي نحو خاص – من خلال الفصل الأخير الي جاء عنوانه : "

أثر الحروب الصليبية في العالم العربي"، وفي مقدورنا القول أنه بالفعل قدم لنا تصوراً جديداً في الموضوع المذكور.

قرر قاسم عبده قاسم: " إن حصاد المواجهة الإسلامية / الصليبية كان سلبياً علي الجانب العربي/ الإسلامي. إذ تعين علي المنطقة أن تحشد كل مواردها وإمكاناتها في خدمة المجهود الحربي، وكان الإفراز السياسي هو نموذج الدولة العسكرية الاقطاعية، وقد نجحت هذه الدولة..... في مهمتها التاريخية وضرب الوجود الصليبي حقاً، ولكنها فشلت في إدارة المجتمع علي أسس مدنية، وحين تدهور نظامها السياسي، بدأت تمارس التسلط علي شعوبها وهو الأمر الذي أدخل المنطقة في منحني التدهور الحاد منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي [12]

هكذا، درس بعمق أثر تلك الحروب علي العالم العربي / الإسلامي، وأوضح كيف أن كافة موارد وإمكانات المنطقة تم توجيهها صوب مواجهة العدو! الصليبي المحتل، ومن بعد ذلك كان تكريس الدولة العسكرية الإقطاعية التي نجحت في الجانب المذكور، لكن اخفقت في جوانب أخري، ولا شك أنه توصل إلي ذلك من خلال تتبعه للأحداث التاريخية من بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام عام 1291م فصاعداً.

من ناحية أخري، كان المؤرخ المذكور رائداً في توجيه الاهتمام إلي دراسة أفكار المؤرخين الإسرائيليين المحدثين تجاه عصر الحروب الصليبية [13]، لذا، نجده قد اشترك مع محمد خليفة حمد في ترجمة كتاب المؤرخ الإسرائيلي البارز يوشع براور **Joshua Prawer** [14] (ت 1990م) بعنوان : عالم الصليبيين وزود الترجمة بمقدمة مهمته وتعليقات علي النص الأصلي وكذلك تعقيب.

لقد كان إسهامه في المجال المذكور ريادياً، علي نحو كان له أثره في قيامي بتخصيص فصل مستقل عن المؤرخين الإسرائيليين في كتابي بعنوان : فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية [15] ثم إعداد كتاب مستقل عنهم من بعد

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ذلك، كما سعي تلميذه عبد الحافظ البنا إلي ترجمة كتاب براور عن ملكية بيت المقدس الصليبية وهو العمل الرائد للمؤرخ الإسرائيلي المذكور [16].

أوضح أ.د قاسم في مقدمة ترجمته لكتاب يوشع براور التشابه بين الحركة الصليبية في العصور الوسطي، والحركة الصهيونية في العصر الحديث، وذلك من خلال التالي:

أولاً: قامت كل من الحركتين علي أساس عنصر نوراتي مستمد من الكتاب المقدس في صورة فكرة الاختيار والأرض الموعودة، فالحركة الصليبية زعمت أن هدفها تحرير الأرض المقدسة التي وعد الرب بها المؤمنين بالمسيح من أيدي المسلمين، وهي ذات الفكرة التي قامت عليها الحركة الصهيونية خاصة أن اليهود اعتقدوا أنهم شعب الله المختار [17].

ثانياً: قدم الصليبيون من كافة أنحاء أوروبا ليواجهوا شعب آخر علي أرض تبعد عن أوروبا بمئات الأميال، وكذلك قدم الصهاينة من كافة أنحاء أوروبا وأمريكا للاستيطان في فلسطين بعد أن شردوا شعبها [18].

ثالثاً: كان الغرب الأوروبي داعماً للحركة الصليبية وكذلك الحركة الصهيونية من خلال كافة الإمكانات المادية والبشرية [19].

رابعاً: نجحت الحركة الصليبية في البداية عندما استغل الصليبيون حالة التفكك السياسي التي كان عليها المسلمون من خلال خلافة عباسية سيئة في بغداد، وخلافة فاطمية شعبية في القاهرة، ثم تفكك دولة السلاجقة خاصة بعد وفاة ملكشاه عام 1092م، وكذلك حدث مع الحركة الصهيونية التي نجحت بفضل سيطرة القوي الأوروبية الإستعمارية علي الوطن العربي خلال النصف الأول من القرن20 [20].

هكذا، سعي ذلك المؤرخ إلي عقد المقارنة بين الغزوين الصليبي والصهيوني، وهو في لك يمثل امتداداً لما قام به من قبل أ.د. جوزيف نسيم يوسف في بحوث مستقلة منذ ستينيات القرن العشرين[21]، وكذلك ما أشار إليه العلامة أ. د. سعيد عاشور في كتابه الحركة الصليبية [22].

سعي أ. د. قاسم عبده قاسم إلي تفنيد ما إتجه إليه المؤرخون الإسرائيليون من المبالغة في دور اليهود عصر الحروب الصليبية وفي ذلك قال: "إذا كان هناك ثمة دور لليهود زمن الحروب الصليبية فإنه كان رد المفعول به لا غير. فقد كانت أعدادهم قليلة إلي درجة مذهلة. كما أنهم راحوا نتيجة مذبحة القدس بعد اقتحام الصليبيين لها مع الضحايا المسلمين من سكان المدينة المقدسة" [23].

تطور الأمر مع ذلك المؤرخ علي نحو جعله يخصص دراسة مستقلة بعنوان : رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية وقد أصدره عام 1983م، وفيه تناول أفكار المؤرخ البارز يوشع براور بالتحليل والنقد، ويُعد عمله هذا عملاً رائداً لم يسبقه أحد إليه، ثم قدم كتاباً آخر في نفس المجال فيما يعد من الرؤية الصهيونية للتاريخ [24]

من ناحية أخري، اتجه صوب دراسة الحروب الصليبية من خلال عمل أدبي فلكلوري في صورة ألف ليلة وليلة[25]، وكان رائداً في هذا المجال، حيث اثبت لنا أن الأدب الشعبي يمكن أن يكون مصدراً من مصادر التاريخ دون إغفال أهمية المصادر الأخري بالطبع.

أدرك ذلك المؤرخ البارز، أن المؤرخين الرسميين في ذلك العصر، ركزوا حديثهم علي البطل العائد، واغفلوا تناول الشعوب، لذا فإن الأدب الشعبي له أهميته البارزة في التعبير عن وجدان الجماهير في حينذاك، وفي ذلك قال: " إن التاريخ الذي كتبه المؤرخون الرسميون للحروب الصليبية قد أغفل تماماً أي دور للشعوب في مقاومة العدوان الصليبي.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ونسب هذه الانتصارات إلي الحكام بقدراتهم الفردية... فإن الشعوب تعيد صياغة هذا التاريخ من خلال فنونها، وتختار أبطالها من عامة الناس أو من شخصيات تضع فيها كل ما ترصده لحكامها من صفات، ففي الصراع ضد الصليبيين لا نسمع عن الشخصيات التاريخية التي قادت الصراع، وإنما نسمع عن شخصيات شعبية تقع عليها العبء كله [26].

هكذا، أدرك ذلك المؤرخ احد إشكاليات ذلك العصر من خلال المصادر التاريخية الرسمية التي أغفلت البعد الشعبي عموماً، لذا كان اتجاهه إلي دراسة الحروب

الصليبية من خلال ألف ليلة وليلة التي ليس بها مؤلف محدد ويطلق عليها الرواية الأم لمكانتها البارزة.

لا نغفل هنا ملاحظة إصداره لجنة عام 1985م أي قبل (36) عاما من وفاته عام 2021م، مما أكد ريادته في استخدام الفلكلور كمصدر من مصادر التاريخ، وعلي الأرجح تأثر في هذا الصدد بالأستاذ الدكتور أحمد مرسي الذي أهدي له كتابه التاريخ والفلكلور وكر في أهدافه أنه دفعه إلي البحث في التراث الشعبي.

بعد أن بحث ونقب في ألف ليلة وليلة عن عصر الحروب الصليبية الزاخر بالأحداث والصدام بين عالمي الإسلام والمسيحية، قرر ما نصه: " أهم ما تحمله هذه الحكايات هو ذلك الشعور بالكراهية والمرارة التي علقت بالوجدان الشعبي تجاه الفرنج ونصاري الغرب من جراء الحروب الصليبية... لقد استحق الصليبيون عداء العرب والمسلمين عن جدارة بسبب مذابحهم الشنيعة وعدوانهم المستمر والمتكرر علي المنطقة العربية، ولأنهم انتهكوا المقدسات الإسلامية في كثير من الأماكن كذلك فإن طول فترة الصراع ضد الصليبيين خلقت شعوراً ثابتاً بالعداء والكراهية في الوجدان العربي تجاههم [27].

واقع الأمر، أدت المذابح التي ارتكبها الصليبيون في المرحلة الباكرة من تاريخهم في بلاد الشام، جعلت هناك تاريخاً شفاهياً ممتداً وعابراً للقرون، وترسخ من العقل الجمعي العربي العداء تجاه الصليبيين، ومن ذلك المناخ العام، تولدت صورتهم في ألف ليلة وليلة.

من زاوية أخري، أدرك قاسم عبده قاسم أهمية الترجمة باعتبارها جسراً للتواصل بين الحضارات في كل العصور، لذلك سعي إلي ترجمة مصادر تاريخ الحروب الصليبية، وهو ما لاحظناه في ترجمته لما ألفه فوشيه دي شارتر **Fulcher de charters** في كتابه تاريخ الحملة إلي بيت المقدس. وفي تقديري أن اختياره لذلك المصدر الصليبي جاء من خلال إدراكه لأهمية المؤرخ المذكور، إذ هناك من يرجح حضوره مجمع كليرمونت **Clermont** بفرنسا في 27 نوفمبر عام 1095م حيث ألقي البابا أوربان الثاني **Urban II** (1089-1099م) خطابه، وقد تناول أحداث الحملة الصليبية الأول (1095 – 099م) وعهد الملك بلدوين الأول **Baldwin I** (1100-1118م)، وقسما من عهد الملك بلدوين الثاني **Baldwin II** (1118-1131م). كما تناول مظاهر التغير الي لحقت بالصليبيين من بعد استقرارهم في المنطقة.

يضاف إلي ذلك، ترجمته لمصادر الحملة الصليبية الأولي وهو ما نجده في كتابه بعنوان الحروب الصليبية نصوص ووثائق، وأحتوي علي الموضوعات التالية.

- خطاب البابا أوربان الثاني من خلال فوشيه الشارتري والمؤرخ المجهول، وروبير الراهب ، وجوبرت النموجنتي، وبلدريك الدوللي.[29]
- الحملة الشعبية من خلال مصادر عديدة مثل جيوبرت النوجتني، وفوشيه الشارتري، ووليم الصوري، وأناكومينيا، وألبرت الأيكس، والمؤرخ المجهول وايكهارد الأوري.[30]
-

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- حملة الفرسان والطريق إلي القدس من خلال العديد من المؤرخين مثل فوشيه الشارتري، وأناكومينيا، وألبرت الأيكس، ورايموند الأجويري [31]

لاشك أنه بذلك قدم إسهاماً علمياً مهما من خلال ترجمته المصادر الصليبية والبيزنطينية ورؤيتها لأحداث الحروب الصليبية خاصة الحملة الصليبية الأولي وهي الحملة الوحيدة التي كللت بالنجاح من خلال اعتبارات عديدة خاصة بقوة الصليبيين الحربية وتفكك وضعف المسلمين وتصارعهم السياسي وخلافاتهم المذهبية.

لا نغفل هنا ملاحظة أن دور قاسم عبده قاسم في ترجمة مصادر عصر الحروب الصليبية جاء مكملا لدور مهم ومحوري قام به المؤرخ الرائد أ.د. حسن حبشي (ت2005م) [32] إلي اللغة العربية، وكذلك جهد بارز من جانب المؤرخ السوري الرائد أ.د سهيل زكار[33] (ت 2020م) فيما عرف بالموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية وكذلك المؤرخ الفلسطيني أ.د. سعيد البيشاوي.

إلي جانب ترجمة المصادر، قام مؤرخنا بترجمة مؤلفات غربية حديثة عن الحروب الصليبية، والمثال الواضح علي ذلك ترجمته لكتاب حرره المؤرخ البريطاني جوناثان رايلي سميث **Jonathan Rile Smith** ،من تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية في جزأين.

لقد احتوى الكتاب المذكور علي العديد من البحوث والدراسات التي ألفها مؤرخون غربيون محدثون، مثل ماركوس بول، وسيمون لويد، وميخائيل روتليدج، وجوناثان فيلبس، وجاروسلاف فولدا، وريتيس برنجل، وآلان فوري[34].

تنوعت بحوثهم بين الجوانب الحضارية المتعددة مثل الأغاني، والفنون، والعمارة، وكذلك النظم الحربية في صورة الرهبان الفرسان **Fighting Monks**، وغيرها.

اتضح لنا من خلال جهده في الترجمة، حرصه علي معرفة رؤية الغرب الأوروبي لعصر الحروب الصليبية، وخلال ترجمته كانت له تصويباته، وتصحيحاته لكتاباتهم، مما أكد عدم تأييدهم في كافة تصوراتهم.

تتضح لنا بجلاء رؤيته كمترجم من خلال ما أورده في مقدمة ترجمته حيث ذكر ما نصه: "أخذت علي عاتقي مهمة ترجمة الكتاب – وهي مهمة فردية للأسف الشديد – نظراً لأهمية الكتاب من ناحية، وعدم وجود فريق عمل متكامل يقوم علي ترجمته من ناحية أخرى. ولأن الكتاب مهم للقارئ العربي العام، وللطلاب والباحثين علي السواء، وكان لابد من ترجمته بغض النظر عن المصاعب المادية، ومشاق الترجمة. ولست في مجال يسمح لي بعرض مدى الصعاب التي تواجه من يقوم بترجمة عمل يسهم فيه عدد كبير من الباحثين، تتنوع مشاربهم العلمية والثقافية، لأنني أظن أن هذه هي طبيعة العمل العلمي. ولكني حرصت قدر الإمكان أن أحبس نفسي داخل عقول من كتبوا هذا الكتاب، مع تحسبي لأن الترجمة الدقيقة تكون مثل امرأة جميلة ولكنها خائنة!! وقد راعيت أن تكون الترجمة في لغة عربية قدر الإمكان، ويبقي الحكم بعد ذلك للقارئ" [35].

هكذا، يتضح لنا إدراكه لأهمية ترجمة الكتاب، وصعوبة التعامل مع عدد مختلف من الباحثين الغربيين كل له تصوراته، ورؤيته من خلال تنوع موضوعات بحوثهم علي نحو تطلب منه أن حبس نفسه، داخل عقولهم!! وهو تعبير قوي الدلالة، ثم عاد ليؤكد عدم وجود ترجمة تامة يتفق عليها الجميع نظراً لاختلاف تعبيرات كل مترجم وأدواته.

أما بالنسبة لمنهجيته في دراسة تاريخ الحروب الصليبية، فيمكن ملاحظتها من خلال التالي:

أولاً: تنوع الموضوعات التي بحث فيها بين ما يسمي بالتاريخ السياسي وكذلك التاريخ الحضاري، وإن كان حريصاً علي الجانب الأخر من أي نوع أخر من أنواع

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الكتابة التاريخية نظراً لبروز ذلك التوجه لديه منذ بواكير نشاطه العلمي خلال إعداد رسالته للماجستير والدكتوراه، وفي هذا المجال، نجد كتابه ماهية الحروب الصليبية حيث تعرض فيه للجوانب السياسية، وكذلك الحضارية علي حد سواء.

ثانياً: التعامل مع مصادر تاريخية جديدة لم يتم استخدامها من قبل لدى الباحثين العرب مثل الحوليات اليهودية **The Jewish Chronicles**، وكذلك ألف ليلة وليلة **The Arabian nights**، وكان دوره في هذا المجال رائداً، خاصة أن العديد من المؤرخين انصرفوا إلي المصادر التقليدية لعصر الحروب الصليبية سواء العربية أو اللاتينية، ولم يوجهوا نفس الاهتمام للمصادر اليهودية أو المصادر الشعبية التي من شأنها تعميق الرؤية لأحداث ذلك العصر.

ثالثاً: التوثيق المصدري، من مختلف المصادر العربية، واللاتينية، والسريانية، والبيزنطية[36]، وعدم الاقتصار علي المصادر العربية المعاصرة فقط، وهو أمر اتجه إليه قطاع من المؤرخين العرب دون إدراك أهمية التعامل مع مصادر متعددة في عصر تاريخي شهد صراعاً عالمياً بين الشرق والغرب.

لقد تطلب من ذلك مطالعة العديد من المصادر المختلفة، ولتسليط الأضواء علي الحركة الصليبية دون الوقوع في أسر مصادر معينة علي حساب الأخرى بل من خلال الرغبة في أن تتكامل معاً في إبراز ما حدث علي أرض الواقع.

رابعاً: وضوح الهوية العربية الإسلامية لديه، فعلى الرغم من قيامه بترجمة العديد من المؤلفات الغربية، إلا أنه حافظ علي وجود الهوية المذكورة، وهو أمر ندركه – دون التعميم- كتابات المؤرخين الذين لم يبتعثوا إلي أوروبا ولم يتأثروا بتوجهات

مشرفيهم، ومن أمثلتهم، أ/ عمر كمال توفيق (ت. 1988م) الذي درس في جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية وتأثر برؤية أساتذته هناك [37].

خامساً: عبر قاسم عبده قاسم عن وطنه الأصلي فلسطين العربية من خلال كتاباته، وتأليفه لدراسات تقارن بين الحروب الصليبية في العصور الوسطى، والحركة الصهيونية في العصر الحديث، ويرفع ذلك إلي ميلاده عام 1942م، أي قبل النكبة بـ 6 سنوات فقط، ثم نشأته في ظل المد القومي خلال مرحلة الخمسينيات، مع ملاحظة أنه ولد وعاش في مصر وبالتالي تمصر.

الواقع ليس في مقدورنا فهم قيامه بترجمة مؤلفات للمؤرخين الإسرائيليين، إلا من خلال حرصه على إبراز تاريخ فلسطين خلال مرحلة الحروب الصليبية.

سادساً: الابتعاد عن اللهث وراء الأحداث التاريخية، بل السعي نحو التحليل والعمق ودوماً اتجه إلي الدوافع المحركة للحدث التاريخي وكذلك النتائج التي نتجت عنه، وهو نفسه في بحثه عن الدوافع الاجتماعية المشار إليه من قبل أورد ما نصه:"... لأن المؤرخ اليوم مطالب بأن يجيب علي السؤال الذي يبدأ بكلمة "لماذا" " ، بدلاً من أن يحكي لنا" "ماذا" حدث، فإنه سوف يسعي بالضرورة وراء الدوافع والأسباب"[38].

لاشك أن ذلك الجانب كان من عوامل تحيزه كمؤرخ واختلافه عن غيره من المؤرخين.

سابعاً: عند البحث عن منهجيته، من الممكن الإشارة إلي تأثره بمؤرخين رائدين هما، أ/ محمد مصطفى زيادة (ت 1968م) وكذلك أستاذه، أ. د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، والاثنان ساهما مساهمة بارزة في دراسة عصر الحروب الصليبية، ومن الممكن النظر إلي، أ.د/ قاسم عبده قاسم، كتطوير لجهودهما، وقد كان محمد مصطفى زيادة رائداً في دراسته تلك المرحلة من خلال مؤلفاته وإشرافه علي تلاميذه، ومنهم سيد عاشور نفسه.

هكذا يمكن القول أن منهجية قاسم لم تنفصل عن منهجية أساتذته، وأن مثل تطويراً لهما.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

يضاف إلي ذلك، تكوين قاسم عبده قاسم لمدرسة تاريخية من خلال كلية الآداب بجامعة الزقازيق وإشرافه علي العديد من الباحثين لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

في هذا الشأن نذكر عدداً منهم علي سبيل المثال لا الحصر وهم:

- حاتم الطحاوي في دراسته عن النشاط الاقتصادي في الدول الصليبية في بلاد الشام.

- عبد الحافظ البنا، الذي أعد رسالته عن أسواق الشام في عصر الحروب الصليبية 595 - 687 هـ / 1099 -1291م.

- زينب عبد المجيد، التي درست تحت إشرافه، الانجليز والحروب الصليبية خلال المرحلة 1189 – 1291م.

- عبد الغني عبد العاطي، وقام بإعداد دراسته عن السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومينين 1081 – 1118م.

- نها عوض، الحملات الصليبية على مصر وبلاد الشام 494- 690هـ/ 1095- 1291م التمويل والإمداد.

الواقع أنه اهتم بالزوايا الاقتصادية والاجتماعية بل وجه تلاميذه صوب الترجمة، وهو أمر لاحظناه مع عبد الحافظ البنا الذي سعى إلي ترجمة كتاب مملكة بيت المقدس الصليبية الذي ألفه يوشع براور.

نتج عن البحث عدة نتائج تجمل علي النحو التالي:

أولاً: قام أ.د/ قاسم عبده قاسم، بدور بارز في مجال دراسة تاريخ الحروب الصليبية سواء من خلال التأليف أو عن طريق الترجمة للمصادر الغربية أو المؤلفات للمؤرخين الأوربيين المحدثين.

ثانياً: كانت لذلك المؤرخ منهجية خاصة في دراسة تلك المرحلة البارزة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى وهو أمر اتضح من خلال مؤلفاته وترجماته.

ثالثاً: في مقدورنا القول أن هناك إسهاماً جديداً له من خلال دراسته لمصادر يهودية خاصة بأحداث مذابح حوض الراين خلال الحملة الصليبية الأولى وكذلك إفادته من الأدب الشعبي خاصة ألف ليلة وليلة، وهي التي يطلق عليها الرواية الأم.

ذلك عرض عن، أ. د/ قاسم عبده قاسم (1941 – 2021م) مؤرخاً للحروب الصليبية.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الهوامش

(1)اعتمدت في السيرة العلمية للأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم علي الكتاب التكريمي الذي صدر هو عنه بمناسبة بلوغه السبعين عاماً. وعنو انه كالتالي :

قاسم عبده قاسم بين التاريخ والأدب الشعبي، مجموعة أبحاث ودراسات مهداة إلي المؤرخ قاسم عبده قاسم ، بمناسبة بلوغه السبعين عاماً، تحرير عمرو عبد العزيز منير، المجلس الأعلي للثقافة،ط. القاهرة 2013م أنظر أيضاً :

محمد مؤنس عوض الحروب الصليبية في مؤلفات المؤرخين المصريين المحدثين، ط. القاهرة 2017م.

(2)قاسم عبده قاسم، الدو افع الاجتماعية للحروب الصليبية، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط م (2) ، عام 1983م، ص 189-233.

(3)نفسه، ص 218.

(4)نفسه، ص 189.

(5)نفسه، ص 229.

(6) سعيد عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطي، ح1، ط. القاهرة 1963م، ص 37 – ص40.

(7)قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ، ط. الكويت 1993م، ص 9-56.

(8)نفسه، ص 57-107.

(9)نفسه، ص 109-180.

(10)نفسه، ص 181-ص 237.

(11)نفسه، ص 62.

(12)نفسه، ص 241.

(13)عن ذلك أنظر :

محمد مؤنس عوض ، المؤرخون الإسرائيليون والحروب الصليبية، ط. القاهرة 2015م.

(14)عن يوشع براور أنظر :

B.Z. Kedar, H. E. Mayer, R.C. Smail, (eds.), Outremer studies in the history of the crusading Kingdom of Jerusalem, yad Izhak Ben – Zvi Institute, Jerusalem 1982الكتاب التكريمي لبراور

أيضاً:

محمد مؤنس عوض، المؤرخون الإسرائيليون والحروب الصليبية، ص 9- ص 35.

(15)محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1996م، ص 257-293.

(16)يوشع براور، الإستيطان الصليبي في فلسطين. مملكة بيت المقدس، ت. عبد الحافظ البنان ط. القاهرة 2001م.

(17)يوشع براور، عالم الصليبيي، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، ط. القاهرة 1999، ص 3.

(18)نفسه، ص 3- ص 4.

(19)نفسه، ص 4.

(20)نفسه، نس الصفحة.

(21)جوزيف نسيم يوسف، الصهيونية امتداد طبيعي للإستعمار الصليبي، مجلة العهد الجديد العدد (1145)، مايو 1967م.

(22)سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ح1-. ص 6.

(23)يوشع براور، عالم الصليبيين، ص 7.

(24)قاسم عبده قاسم، القراءة الصهيونية للتاريخ، الحروب الصليبية نموذجاً، كتاب الهلال، ط. القاهرة 2005م.

(25)عن ألف ليلة وليلة أنظر :

ألف ليلة وليلة، ط. بيروت 1988م، ماهر البطوطي، الرواية الأم ألف ليلة وليلة والآداب العالمية، ط. القاهرة 2005م، سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، ط. القاهرة 1966م، أحمد محمد الشحات، الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة، ط. بغداد 1986، محسن جاسم الموسوي، مجتمع ألف ليلة وليلة، ط. مؤنس 2000م، فاروق سعد، من وحي ألف ليلة وليلة ، ط. بيروت 1962م.

The Arabian Nights, Illustrated by Maxfield Purrish, London 1993

N.J. Dawood, Tales From the Thousand and One Nights, Penguin Books, London 1973.

Les Mille et une Nuits, tr. Rene R. Khawam, 4 Vols., Paris 1987.

P. L. Caracciolo (ed.), the Arabian Nights, in the English Literature, New York 1988

Ml. Gerhardt, the Art of Ftory- Telling, Aliterary study of the Thousand and One Nights, Leiden 1963.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

(26)قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة دراسة في تأثير الحروب الصليبية علي الوجدان الشعبي العربي، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، م (3)، عام 1985م، ص 256.

(27)نفسه، ص 257.

وعن المذاب التي ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين

أنظر :

Anonymous, the deeds of the Franks and other pilgrims to Jerusalem, trans. R. Hlll, London 1992, p.91

ميخائيل اسكندر، القدس عبر التاريخ، ط. القاهرة 1972م، ص 57-58، سعيد عاشور ، أضواء جديدة عي الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1964م، ص 10. حصة عثمان، مذاب الصليبيين في الغرب الأوروبي وبلاد الشام خلال الفترة 489 – 586ه) 1096-1191م، رسالة ماجستير جامعة الشارقة عام 2021م، ص 45-64 (تحت إشرافي)

(28)عن فوشيه دي شارتر أنظر :

Futcher of charters, A History of the Expedition to Jerusalem 1095-1127, trans. Frances Rita Ryan (sisters of St. Joseph), ed. Harold Fink, Tennesse 1969.

هناك ترجمة عربية سابقة قام بها زياد العسلي: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلي القدس، ت. زياد العسلي، ط. عمان 1995م.

أما ترجمة قاسم عبده قاسم فهي كالتالي :

فوشيه الشارتري، الإستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلي بيت المقدس. ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم، ط. الكويت 2001م.

بولا جمال، فوشيه الشارتري والمؤرخون الصليبيون ، ضمن كتاب العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، دراسات وبحوث مهداة إلي الأستاذ الدكتور حامد زيان غانم، تحرير محمد مؤنس عوض وهنادي السيد محمود، ط. القاهرة 2020م، ص 65-97.

محمد مؤنس عوض ، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية، ص 496.

(29)قاسم عبده قاسم، الحروب الصليبية نصوص ووثائق، ط. القاهرة 1985م، ص 73 – ص 94

(30)نفسه، ص 97- ص 130

(31)نفسه، ص 135 – 277.

(32)عنه :

محمد مؤنس عوض، رواد تاريخ العصور الوسطي في مصر، سلسلة تاريخ المصريين، ط. القاهرة 2007م، ص 265-277، الحروب الصليبية في مؤلفات المؤرخين المصريين المحدثين، ص 37-59.

(33)عنه أنظر :

الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب (105) مجلة

(34) عن ذلك أنظر:

The Oxford liustrated history of the crusaues, edited by jonathan Riley – Smith, Oxford, new york, Oxford university piess 1997.

جوناثان رايلي سميث، تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، مزود بالصوروالرسوم التوضيحية، ترجمة وتقديم وتعليق قاسم عبده قاسم، القاهرة، 2007م .

(35)نفسه، ص4 .

(36)عن أمثلة ذلك أنظر:

ماهية الحروب الصليبية، ص 47، ص 48، ص 51، ص 53، ص 54، ص 175، ص 180 وغيرها كثير .

(37)عمركمال توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية، ط1، الإسكندرية، 1958م، ص 146، ص 147 .

(38)قاسم عبده قاسم، الدو افع الاجتماعية، ص 189.